إنشاء الدوائر

تأليف

الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر محيي الدين محمد بن علي

ابن عربي الحاتمي

المتوفى ٦٣٨ هـ

اعتنى به

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الّذي خلق الإنسان على صورته وخصّه بسريرته، وجعل المضاهاة والمُباهاة مقدَّمتَيْن لتصحيح نتيجة معرفته، فطَوْراً يضاهي به حضرة ذاته وصفاته وطوراً يضاهي به حضرة مخلوقاته، والصلاة على النبيّ الجامع للمبادىء الأُوَل والمُقابل حضرةَ الأزل، النور الساطع الّذي ليس له فَيْء والمستور خلف حجاب ليس كمَثْله شَيء، ذلك حقيقة الحقائق والنَّشْء الأَوَّل المبرز على صورة المخلوقات والخالق، منه من باب الشكل ومنه من باب الحقيقة ومنه من باب الاسم والوصف ومنه من باب الخلائق محمّد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرّم.

أمّا بعد فإن الله سبحانه لمّا عرفني حقائق الأشياء على ما هي عليه في ذواتها وأطلعني كشفاً على حقائق نسبها وإضافاتها، أردتُ أن أُدخلها في قالب التشكيل الحسّيّ ليقرُبَ مأخذُها على الصاحب الولي عبد الله بدر الحبشيّ وليتّضح لمنْ كلَّ بصرهُ عن إدراكها ولم تَسْبح دَراريُّ أفكاره في أفلاكها فيتبيّن له من أيْنَ مرتبته في الوجود وما الشرف الّذي تحصَّلَ له حتى خضعت، له الملائكة بالسجود وإذا سجد له المَلَك الكريم الأخلص فما ظنُّك بالمَلأ الأسفل الأنقص ألا ترى خبر الحقّ الصِدْقَ عنه، حيث قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] وأدخل العالم كلّه أجمع تحت تسخير هذا الإنسان الأرفع فما من ملأ أعلى إلاّ بك مُسْتعلْ وما من ملأ أدنى إلا يتضرع إليك ويبتهل، فهم بين مستغفر لك ومصلّ عليك، ومَلَكُ سلام يوصله من الحقّ تعالى إليك، وإذا كان السيّد الحق يصلّي عليك فكيف بملائكته، وإذا كان ناظراً لك، فما ظنّك بخليفته، وما من فاكهة ونعمة عند تناهيها إلا متضرعة لك خاضعة أن تؤتى لك ما أودع الله من المنافع فيها، فما في الوجود كله حقيقة ولا دقيقة إلاّ ومنك إليها ومنها إليك، رقيقة فعدد الرقائق على عدد الحقائق والدقائق، فلولا ما صحّ لهذا الإنسان أحسنُ تقويم وفُطر على صورة القديم واستُخرج مَنْ قُصَيْراه الحقُّ لَما سكن له، وبه تعشق لمَا صحّ عنه وجودُ خلق

ولا دان له الملأُ الأعلى ولا ظهر بالموقف الأجلى ولا عنتْ له وجوه الأملاك ولا دارت بنفسه أجرامُ الأفلاك، فاشكر الله ثانياً، يا أيها الإنسان على ما خصك به الجوادُ الرحمن من كمال هذه النصْبة وأوقفك على معاني حقائق هذه النسبة فابحثْ عن وجودك وأين مرتبتك من معبودك وميّزْ بينك وبين عبيدك، فإنّك إن فعلت هذا حُشرتَ في الاستواء الرحمانيّ والإنباء الربّانيّ هذا وقد أوضحت لك في هذا الكتاب الّذي سمّيته إنشاء الدوائر الإحاطية على مضاهاة الإنسان الخالق، والخلائق في الصُّور المحسوسة والمعقولة والخلائق وتنزيل للحقائق عليه في أنابيب الرقائق، فنصبتُ الأشكال وضربتُ الأمثال وبيّنتُ ما هو في الإنسَان بما هو إنسان وما فيه بما هو صاحب إيمان أو إحسان، تقريباً للفهم وتوصيلاً للعلم ومن مُوجد الكون نسأل التأييد والعون بمنّه وكرمه.

فصل: واعلموا وفقكم الله لطاعته وجعلكم من الفائزين بمعرفته برحمته، أنّه لمّا كان الغرض في هذا الكتاب أين مرتبة الإنسان في الوجود ومنزلته في حضرة الجود وبروزُه من غيبه بعينه وهل كان متصفاً بحال قبل كونه احتَجْنا أن نتكلم على العدم والوجود، ولماذا يرجعان وهل بين ذلك الوجود والعدم ما لا يتّصف بهما أم لا فجعلتُ هذا الفصل لهذا الأمر ومعرفته ثمّ بعد ذلك إن شاء الله نُنْشىء الدوائر والجداول ونمدّ الرقائق والحبائل ونُبرِز الأصول والفروع، ونفرق بين المفروق والمجموع وما يتعلق بهما من الأسماء، وأين الأرض من الإنسان والسماء وكيفيّات، التجليات وترتيبها على المقامات، كلّ ذلك وأشباهه في أبواب مبوَّبة، في هذا المجموع وأشكال منصوبة بصناعة عَمَليّة ليقْرب على الطالب مأخذُ الفوائد والمعاني منها، ويتصور المعنى في نفسه صورةً متجسدةً تسهُل عليه العبارة عنها لقوة حصولها في الخيال ويَحْرص الناظر على استيفاء النظر حتّى يقف على كلّيّة معانيها، إذ المعنى إذا أدخل في قالب الصورة والشكل تعشق به الحسّ وصار له فرجة يتفرج عليها، ويتنزه فيها فيؤدّيه ذلك إلى تحقيق ما نصب له ذلك الشكل وجسدت له تلك الصورة، فلهذا ما أدخلناه في التصوير والتشكيل.

فاعلم أنّ الوجود والعدم ليسا بشيء زائد على الموجود والمعدوم، لكن هو نفس الموجود والمعدوم، لكن الوهم يتخيل أنّ الوجود والعدم صفتان راجعتان إلى الموجود والمعدوم، ويتخيلهما كالبيت والموجود والمعدوم قد دخلا فيه، ولهذا تقول قد دخل هذا الشيء في الوجود بعد أن لم يكن، وإنّما المراد بذلك عند

المتحذلقين أنّما معناه أنّ هذا الشيء وُجد في عينه، فالوجود والعدم عبارتان عن إثبات عين الشيء أو نفيه ثمّ إذا ثبت عين الشيء أو انتفى فقد يجوز عليه الإتصاف بالعدم والوجود معاً، وذلك بالنسبة والإضافة فيكون زيد الموجود في عينه موجوداً في السُّوق، معدوماً في الدار فلو كان العدم والوجود من الأوصاف التي ترجع إلى الموجود كالسواد والبياض لاستحال وصفه بهما معاً، بل كان إذا كان معدوماً لمّا يكن موجوداً، كما أنّه إذا كان أسود لا يكون أبيض، وقد صحّ وصفه بالعدم والوجود معاً في زمان واحد، هذا هو الوجود الإضافي والعدم مع ثبوت العين فإذا صح أنّه ليس بصفة قائمة بموصوف محسوس ولا بموصوف معقول وَحْدَه دون إضافة فيثبت أنه من باب الإضافات والنسب مطلقاً، مثل المشرق والمغرب واليمين والشمال والأمام والوراء فلا يُخَصّ بهذا الوصف وجود دون وجود، فإن قيل كيف يصحّ أن يكون الشيء معدوماً في عينه يتّصف بالوجود في عالم مَّا أو بنسبة مَّا، فيكون موجوداً في عينه معدوماً بنسبة مَّا، فنقول نعَمْ لكلّ شيء في الوجود أربع مراتب إلاّ الله تعالى فإنّ له في الوجود المضاف ثلاث مراتب المرتبة الأولى: وجود الشيء في عينه، وهي المرتبة الثانية بالنظر إلى علم الحق بالمحدث، والمرتبة الثانية: وجوده في العلم وهي المرتبة الأولى بالنظر إلى علم الله تعالى بنا، والمرتبة الثالثة: وجود في الألفاظ، والمرتبة الرابعة: وجوده في الرقوم ووجود الله الحق تعالى بالنظر إلى علمنا على هذه المراتب ما عدا مرتبة العلم، هذا هو الإدراك الذي حصل بأيدينا اليومَ ولا أدري إذا وقعت المعاينة البصريّة المقدَّرة في الشرع هل يحصل في نفوسنا علمُ إثبات أو مزيدُ وضوح في جنس العلم الّذي بأيدينا اليوم في علمنا به سبحانه، فإن كان كذلك فليس له إلا ثلاث مراتب وإن كان يوجب النظر إثباتاً في الدار الآخرة أو حيث وقعت المعاينة لمنْ وقعت فقد نصفه بالمرتبة الرابعة فتحقَّقْ هذه الإشارة في علمنا بالله سبحانه فإنها نافعة في الباب، ثمَّ هذه المراتب بالإضافة إلينا كما قدمنا بتقدُّم وجود العين أو وجود ما يماثل العين أو وجود أجزاء العين مبدَّدةً غيرَ مجموع بعضها إلى بعض، بالإضافة إلى شكل مَّا يخترعه العاقل كلّ هذا لا بدّ من تقديمه أعني واحداً منها ثمّ بعد هذا ينضبط في العلم ويُتصور في الذهن، هذا بالإضافة إلينا وبالإضافة إلى الله تعالى إنّما العلم متقدّم من غير زمان بالشيء قبل عينه، فوجود الشيء المحدث في علم الله تعالى قبل وجود الشيء في عينه ومتقدّم عليه، غيرَ أنّ ثَمّ سراً سنومىء إليه في هذا الفصل إن شاء الله تعالى،

ونبيّن لك أنّ وجود العين يتقدّم على وجود العلم بالمرتبة ويساويه في الوجود أزلاً لا من جهة كونها محدثة وهذا في حقّ الحقّ، وأما في حق الخلق فسنبين لك أنّ إدراك الحقّ للموجود في عينه تفصيلاً أنّه قد كانت له حالة مّا بالنظر إلى أمر مّا لا يتصف فيها بالوجود، ولا بالعدم مع عدمه في عينه، ثمّ نرجع ونقول: فأمّا تبيين تلك المراتب الأربع المتقدّمة فهي أن نقول: زيد باللسان فنعقل معناه أو نرقمه في الكاغد زيد، فنعقل معناه أو يظهر في عينه فنعقل معناه أو نتخيله في أنفسنا، وهو غير حاضر فنعقل معناه وهذا هو الوجود في العلم، فكل واحدة من هذه المراتب متحدة المعنى لم يزد باختلافها معنى في زيد، فكلّ شيء قديم أو محدث لا يخلو من أن يكون في بعض هذه المراتب أو في كلّها.

فإذا تقرر هذا وثبت أنّه الحقّ فنقول إنّ الإنسان قديم محدث موجود معدوم، أمّا قولنا قديم فلأنّه موجود في العلم القديم متصور فيه أزلا وهي من بعض مراتب الوجود المذكورة، وأمّا قولنا محدث فإنّ شكله وعينه لم يكن ثمّ كان فيخرج من هذا أنّ زيداً موجود في العلم موجود في الكلام معدوم في العين أزلاً مثلاً، فقد تُصُوّر اتصافه بالوجود والعدم أزلا، فصحّ من هذا أن الوجود ليس بصفة للموجود، وإن قد تقرر هذا فبقي لنا أن ننظر بماذا يتعلق العلم بالموجود أو بالمعدوم، ولا نعلم ذلك ما لم نعلم ما هو العلم وإلى ماذا تنقسم المعدومات، فنقول أولاً إنّ العلم عبارة عن حقيقة في النفس تتعلق بالمعدوم، والموجود على حقيقته التي هو عليها أو يكون إذا وجد فهذه الحقيقة هي العلم، والمعدومات تنقسم أربعة أقسام معدوم مفروض لا يصحّ وجوده البتّة، كالشريك والولد للإله والصاحبة له، ودخول الجمَل في سمّ الخياط، ومعدوم يجب وجوده وجوباً ترجيحيًا اختياريًا لا اضطراريًا، كشخص من الجنس الواحد وكنعيم الجنّة للمؤمنين ومعدوم يجوز وجوده، كعذوبة ماء البحر في البحر ومَرارة الحلو وأشباه ذلك، ومعدوم لا يصح وجوده قطعاً اختياريًا، لكن وجود شخص من جنسه وهذا كله أعني ما يجوز وجوده وما لا يصح اختياراً، إنّما أريد به الشخص الثاني من الجنس فصاعداً على أن الحقيقة تُثْبت الإرادة وتنفي الاختيار، كما تُثبت العلم وتنفي التدبير وإن كان ورد في السمع ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [الرعد: ٢]، [السجدة: ٥] وورد ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] ولكن من وقف على سر وضع الشريعة عرف موضع هذا الخطاب بالتدبير والاختيار، وسأبينه إن شاء الله تعالى في كتابي هذا أنّه سبحانه مُريد غير مختار وأنّه ما في الوجود ممكن

أصلاً، وأنّه منحصر في الوجوب والاستحالة وأنّه كلّما ورد في القرآن الكريم من قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾

اقترانُ المشيئة بحرف الامتناع لسبب موجود قديم يستحيل عدمهُ فيستحيل ضد مشيئته فخرجت المشيئة عن بابها المعقول، في العادة إلى بابها المعقول في الحقيقة، فمهما ذكرتُ في كتابي هذا ما يدل على الإمكان أو الاختيار أو التدبير وغير ذلك ممّا تأباه الحقائق فإنما أسوقه للتوصيل والتفهيم الجاري في العادة، وصاحب الحقيقة يعرف مرتبة الموضوعات ومعه أتكلّم في الحقائق وإيّاه أخاطب ومن نزل عن هذه الحقائق فإنّه يحمل الكلام على ما استقر في عُرْف العادة الّذي يتخيل فيه أنّه حقيقة، فيقبل كلُّ واحد منهما المسألة ولا يرمي بها لكن من وجهيْن مختلفين وبينهما ما بين مفهوميهما، فإذا علمتَ هذا فالعلم لا يتعلق من هذه الأقسام إلاّ بالثلاثة، وأمّا المعدوم الّذي لا يصح وجوده البتة فلا يتعلق به علم أصلاً لأنه ليس شيئاً يكون فالعلم إذاً لا يتعلق إلاّ بموجود ولا يتعلق بمعدوم رأساً، إذ العدم المحض لا يُتصور تعلقُ العلم به لأنّه ليس على صورة ولا مقيّد بصفة، ولا له حقيقة تنضبط، إلاّ النفي المحض والنفي المحض لا يحصل منه في النفس شيء إذ لو حصل لكان وجوداً والعدم من جميع الجهات لا يكون وجوداً أبداً، فإن الحقائق لا سبيل إلى قلبها، ألا ترى علمك بنفي شريك عن الله تعالى إن تأملت إلى ما تقدّر لك في نفسك وما انضبط لك في قلبك من نفي الشريك فما تجد في النفس شيئاً إلاّ الوحدانية وهي موجودة وهي الّتي ضبطتْها النفس، وإن أبيتَ قبولَ هذا وعسُر عليك فارجع إلى نظر آخر، وهو أن الشريك معلوم عندك موجود في عينه في المحدثات، في حق زيد فتلك النسبة التي أضفَتَ بها الشريك إلى زيد موجودة، هي بعينها لم تُضفها إلى الله تعالى، فانظر علمك بالمُحال راجعاً إلى العلم بأجزاء متفرقة موجودة ولولا ذلك ما عقلت نفيها عن الله تعالى فمهما تُصُور لك العلم بعدم مّا فليس عندك إلاّ العلم بوجود ضدّه، أو بوجود الشرط المصحّح لنفيه أو بأجزاء موجودة في العالم نفيت نسبتها وإضافتها لموجود مّا لحقيقة ذاتيّة موجودة لذلك الموجود، هو عليها علمتها أنت فنفيت عنه ما منعت تلك الحقيقة قبول ما اتصف بها لذلك وأثبتّها لآخر لحقيقة أيضاً موجودة يتّصف هذا الموجود الذي أثبتها له بها، فتحقق هذه المسألة فإنها نافعة إن شاء الله تعالى.

وهذا هو القسم الواحد من أقسام المعدومات وما عداه فقد جعلناه إمّا وجوباً

أو جوازاً أو محالاً اختياراً مع فرض وجود شخص من الجنس، فكلها راجعة إلى الوجود وما كان راجعاً إلى الوجود فالعلم يضبطه ويحصله.

واعلم أن الإنسان لولا ما هو على الصورة لما تعلق به العلم أزلاً، إذ العلم المتعلق أزلاً بالحادث إنّما حصل ولم يزلْ حاصلاً بالصورة الموجودة القديمة التي خلق الإنسان عليها والعالم كله بأسره على صورة الإنسان، فهو أيضاً على الصورة التي خلق الإنسان عليها فالعلم إنما يتعلق بالمعدوم لتعلقه بمثله الموجود، فافهم فإذا تقرر هذا فقد يمكن أن تحدث في النفس أنْ تقول لي إني أريد أن أعلم من أي طريق يتعلّق العلم بالمعلوم المعدوم الذي يجوز وجوده، فإني فهمت من كلامك أنّه لا بدّ من الرؤية وحينئذ يحصل العلم في زمان الرؤية، أو في تقدير زمان إن كان الرائي لا يجوز عليه الزمان، وإنّما المراد حصول العلم عند رؤية المعلوم بالإدراك البصري أو مثل البصري أو مثل المعلوم أو أجزاء المعلوم، فلتعلم أنّ الأمر كما فهمتَ وأشرت إليه كذا هو عندي في حق كلّ عالم سواء، ولا أحاشي من الأقوام من أحد غيرَ أني سأنبهك على ما سكتَّ عنه من الاعتراض أدباً منك وخوفاً على القلوب العُمْي الذين لا يعقلون ولمعرفتك تتفطن لما أومأت إليه رمزاً.

فاعلم أنّه ليس من شرط تعلق العلم بالمعلوم، عند الإدراك أن تكون أشخاص ذلك الجنس موجودة في أعيانها، لكن من شرطها أن يكون منها موجود واحد أو أجزاء في موجودات متفرقة بجمعها، يظهر موجود آخر فتعلمه وما بقي معدوماً فهو مثل له فعلمُك إذاً إنما تعلُّق رؤيتك بذلك الموجود وتلك الحقيقة، وليس سماع الأصوات معرفة أعيانها وإنّما تُعْرف عينها من باب الرؤية، وهكذا كلّ معلوم على مَساقِ ما تقدّم فما بقي معدوماً فمُدرك حقيقة عندك إدراكاً صحيحاً؛ لأنّه مثْل أمّ أجزاء موجودات لا سبيل إلى هذا وضرورة أنَّ كل عالم أحاطه من غير تخصيص موجود في نفسه وعينه عالم بنفسه مدْرك لها، وكلّ معلوم سواه إمّا أن يكون على صورته بكمالها فهو مَثَلٌ له أو على بعض صورته، فمن هذا الوجه يكون عالماً بالمعلومات لأنه عالم بنفسه وذلك العلم ينسحب عليها انسحاباً، خذ هذا عموماً في كلّ موجود ولا تقيد غيرَ أنّك يجب عليك التحفظ من التشبيه إن دخلت إلى الحضرة الإلهية والتمثيل، فهذا هو إدراك المفصل في المُجمَل، وأمّا نحن فما أدركنا المجمَل إلاّ من المفصَّل الحادث الحاصل في الوجود، ثمّ أدركنا في ذلك المجمل تفصيلاً مقدَّراً يمكن أن يكون وأن لا يكون، فتفهم ما أومأنا إليه في قولنا عموماً، في كلّ

موجود ولا تقيّد، فإنّه مَنْ وُجد على صورة شيء فذلك الشيء أيضاً على صورته فبنفس ما يرى صورته رأى مَنْ هو على صورته وبنفس ما يعلم نفسه علم مَنْ هو على صورته لا ينقصه من ذلك شيء، فإذا تحصّل هذا في سمعك ونفث به روح القدس في روعك فألق السمع وأحضر القلب وحُدّ الذهن وخلّص الفكر لما أذكره لك إن شاء الله تعالى.

فاعلم أن الأشياء على ثلاث مراتب لا رابع لها والعلم لا يتعلق بسواها وما عداها فعدم محض لا يُعْلَم ولا يُجْهَل ولا هو متعلق بشيء، فإذا فهمت هذا فنقول إنّ هذه الأشياء الثلاثة منها ما يتصف بالوجود لذاته فهو موجود بذاته في عينه لا يصحّ أن يكون وجوده عن عدم، بل هو مطلق الوجود لا عن شيء، فكان يتقدّم عليه ذلك الشيء بل هو الموجد لجميع الأشياء وخالقها ومقدرها ومفصلها ومدبرها وهو الوجود المطلق الذي لا يتقيد، سبحانه وهو الله الحي القيوم العليم المريد القدير الّذي لَيْسَ كمثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَميعُ الْبصيرُ، ومنها موجود بالله تعالى وهو الوجود المقيد المعبَّرَ عنه، بالعالم، والعرش، والكرسي والسموات العُلَى وما فيها من العالم والجوّ والأرض وما فيها من الدوابّ والحشرات والنبات وغير ذلك من العالم، فإنّه لم يكن موجوداً في عينه ثمّ كان من غير أن يكون بينه وبين موجده زمان يتقدّم به عليه فيتأخر، هذا عنه فيقال فيه بعد أو قبل هذا محال وإنّما هو متقدّم بالوجود كتقدُّم أمس على اليوم فإنّه من غير زمان، لأنّه نفس الزمان فعدم العالم لم يكن في وقت لكن الوهم يتخيل أنّ بين وجود الحقّ ووجود الخلق امتداداً، وذلك راجع لما عهده في الحسّ من التقدّم الزماني بين المحدثات وتأخره، وأمّا الشيء الثالث فما لا يتّصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقِدَم وهو مقارن للأزلي الحقّ أزلاً، فيستحيل عليه أيضاً التقدّم الزماني على العالم والتأخر كما استحال على الحقّ وزيادة؛ لأنه ليس بموجود فإن الحدوث والقدم أمر إضافي يوصل إلى العقل حقيقة مّا وذلك أنّه لو زال العالم لم نطلق على الواجب الوجود قديماً، وإن كان الشرع لم يجيء بهذا الاسم أعني القديم وإنّما جاء باسمه الأوّل والآخر فإذا زلتَ أنت لم يُقَل أولاً ولا آخراً؛ إذ الوسَط العاقد للأوليّة والآخرية ليس ثمّ فلا أوّل ولا آخرَ وهكذا الظاهر والباطن وأسماء الإضافات كلها فيكون موجوداً مطلقاً من غير تقييد بأوّلية أو آخريّة، وهذا الشيء الثالث الّذي لا يتّصف بالوجود ولا بالعدم مِثْلهُ في نفي الأوليّة والآخرية بانتفاء العالم، كما كان الواجب الوجود سبحانه وكذلك لا يتّصف بالكّل

ولا بالبعض ولا يقبل الزيادة والنقص، وأمّا قولنا فيه كما استحال على الحق وزيادة، فتلك الزيادة كونه لا موجوداً ولا معدوماً فلا يقال فيه أوّل وآخر، وكذلك لتعلَمْ أيضاً أنّ هذا الشيء الثالث ليس العَالم يتأخر عنه أو يحاذيه بالمكان؛ إذ المكان من العالم وهذا أصل العالم، وأصل الجوهر الفرد وفلك الحياة، وأُلْحِقَ المخلوق به وكلّ ما هو عالم من الموجود المطلق، وعن هذا الشيء الثالث ظهر العالم فهذا الشيء هو حقيقة حقائق العالم الكلّيّة المعقولة في الذهن الذي يظهر في القديم قديماً وفي الحادث حادثاً، فإن قلتَ هذا الشيء هو العالم صدقتَ، وإن قلت إنّه الحقّ القديم سبحانه صدقت، وإن قلت إنّه ليس العالم ولا الحقّ تعالى وإنّه معنى زائد صدقت، كلُّ هذا يصحّ عليه وهو الكلّيّ الأعم الجامع للحدوث والقدم، وهو يتعدد بتعدُّد الموجودات، ولا ينقسم بانقسام الموجودات، وينقسم بانقسام المعلومات، وهو لا موجود ولا معدوم ولا هو العالم وهو العالم وهو غير ولا هو غير؛ لأنّ المغايرة في الوجودَيْن والنسبة انضمام شيء مّا إلى شيء آخر، فيكون منه أمر آخرَ يسمى صورةً مّا والانضمامُ نسبة فإذا أردنا أن نُحدث مثلّثاً ضممنا أجزاء انضماماً مخصوصاً، فحدثت ثلاثة أركان فقلنا هذا مثلّث وأنواع ذلك من التشكيل والتصوير والألوان والأكوان معلوم في الكلّيّ الأعم، وهذا مَلَك وإنسان وعقل وغير ذلك، وهذا مقدار ومكان ووَضْع وانفعال مّا ومنفعل مّا، وبانضمام الجزئيات الّتي تحت الأجناس الكلّيات بعضها إلى بعض يحدث عالم التفصيل، علواً وسفلاً من غير افتراق، إلاّ ما حصل في الوهم هذا وجه قولك إنّ هذا الشيء هو العالم وتصدق في ذلك، وكذلك أيضاً إن قلت إنّه ليس العالم صدقت فإنّ العالم قد كان معدومَ العين وهذا على حالته لا يتّصف بوجود ولا عدم، لكنّ العالم القديم يتعلّق بما يتضمنه هذا الشيء الثالث المجمل من التفصيل كما قدّمناه قبلُ، كما يتعلق علمنا ببعض التفصيلات ويتعلق بمجملاتها غير مفصّلة، لكن يفصلها متى شاء وهذا سرّ فإنّ علمنا به كذلك لصحة المضاهاة بيننا وبين الحقّ، ولهذا الإشارة من الإمام أبي حامد الغزاليّ وليس في الإمكان أبْدَع من هذا العالم إذ لو كان ادّخره لكان عجزاً ينافي القدرة وبخلاً يناقض الجودّ، ولهذه العلّة قُطع الإمكان وهذا ليس هو عندي على وجه واحد، وأكمل الوجوه عندي في هذا كونه وجد على الصورة فافهمْ، ولأنّه أيضاً دليلٌ مُوصل إلى معرفة الله فلا بدّ أن يكون مستوفى الأركان، فلو نقص ركن منه لما كان دليلاً ولم تصحّ معرفة، وقد صحت فقد ثبت دلالته، قال النبيّ ﷺ: «مَنْ عرف نفسه عرف

ربّه»[1]، ثمّ نرجع فنقول هذا الشيء الثالث الّذي نحن بسبيله لا يقدر أحد أن يقف على حقيقة عبارته لكن نومئ إليه بضرب من التشبيه والتمثيل، وبهذا ينفصل عن الحق الذي لا يدخل تحت المثال إلا من جهة الفعل لا أنه ينبئ عن حقيقته فكنّا نحيط به علماً وهذا لا سبيل إليه قطّ، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] فنقول نسبة هذا الشيء - الّذي لا يُحَدُّ ولا يتّصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم - إلى العالم، كنسبة الخشبة إلى الكرسيّ والتابوت والمنْبَر والمَحْمِل، أو الفضة إلى الأواني والآلات التي تصاغ منها كالمكحلة والقُرط والخاتم فبهذا تُعرف تلك الحقيقة، فخُذ هذه النسبة ولا تتخيّل النقص فيه، كما تتخيّل النقص في الخشبة بانفصال المِحْبَرة عنها، واعلم أنّ الخشبة أيضاً صورة مخصوصة في العُودية، فلا ننظر أبداً إلاّ للحقيقة المعقولة الجامعة التي هي العودية، فتجدها لا تنقص ولا تتبعّض بل هي في كلّ كرسيّ ومحبرة على كمالها، من غير نقص ولا زيادة وإن كان في صورة المحبرة حقائق كثيرة منها الحقيقة العوديّة والاستطالية التربيعيّة والكمّيّة وغير ذلك وكلها فيها بكمالها، وكذلك الكرسي والمنبر، وهذا الشيء الثالث هو هذه الحقائق كلها بكمالها فَسَمِّه إن شئت حقيقة الحقائق أو الهَيولى أو المادّة الأُولى أو جنس الأجناس، وسَمِّ الحقائق التي يتضمنها هذا الشيء الثالث الحقائق الأُوَل أو الأجناس العالية، فهذا الشيء الثالث أزلاً لا يفارق الواجب الوجود محاذياً له من غير وجود عينيّ، فانْتفت الجهات والتِلقاءات حتّى لو فرضناه موجوداً ولم نجعله متميزاً لانتفت عنه التلقاءات والإزاءات فتحقَّقْ هذا الفصل واعلمه.

فصل: ولمّا تكلمنا على أقسام المعدومات وتبينتْ مراتبها أردنا أن نتكلم على الموجودات وأصنافها، وهي على أقسام منها: وجود مطلق ولا يُعقَل ماهيته ولا يجوز عليه الماهيّة، كما لا يجوز عليه الكيفية ولا يُعْلم له صفة نفسية من باب الإثبات وهو الله تعالى وغاية المعرفة به الحاصلة بأيدينا اليومَ من صفات السلب مثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] و﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠] فعلى ما قدّمنا من أنّ العلم لا يتعلق إلا بموجود فهنا متعلق العلم نفيُ ما لا يجوز عليه سبحانه وتعالى، ونفي ما لا يجوز عليه ثابت

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء حديث رقم (٢٥٣٢) [ج ٢ ص ٣٤٣] وعلي الهروي في المصنوع [ج ١ ص ٣٤٧].

عندنا موجود فينا منسوب إلينا، هذا قسم. **ومنها**: موجود مجرَّد عن المادَّة وهي العقول المفارقة الروحانية القابلة للتشكيل والتصوير ذوات الرقائق النوريَّة، وهي المعبَّر عنها بالملائكة وهي لا تتخير، ولا تختصّ بمكان دون مكان لذاتها، وليس لها شكل مختص به، ولا صورة وإن كانت الصورة التي تظهر فيها متحيزة وهو سرٌّ شريف لطيف، وبهذه النسبة هي القُوى الروحانية النارية المعبَّر عنها بالجنّ، غيرَ أنّها تحت قهر الطبيعة فإنّ الحرارة من صفات ذواتها والملائكة ليست كذلك. **ومنها** موجود يقبل التحيز والمكان، وهي الأجرام والأجسام والجواهر، الأفراد عند الأشْعَريّين. **ومنها**: موجود لا يقبل التحيز بذاته ولكن يقبله بالتبعيّة ولا يقوم بنفسه لكن يَحُلّ في غيره وهي الأعراض: كالسواد والبياض وأشباه ذلك **ومنها**: موجودات النسب وهي ما يحدث بين هذه الذوات الّتي ذكرناها وبين الأعراض كالأيْن والكيف والزمان والعدد والمقدار والإضافة والوضع وأن يُفْعَل وأن يُنْفَعَل، وكلّ واحد من هذه الموجودات ينقسم في نفسه إلى أشياء كثيرة لا يُحتاج هنا إلى ذكرها. فالأين: كالمكان مثل الفوق والتحت وأشباه ذلك. والكيف: كالصحة والسقم وسائر الأحوال والزمان: كالأمس واليوم والغد والنهار والليل والساعة، وما جاز أن يسأل عنه بمتى. والكم: كالمقادير والأوزان وتذريع المساحات وأوزان الشعر والكلام وغير ذلك، ممّا يدخل تحت كمْ. والإضافة: كالأب والابن والمالك. والوضع: كاللغات والأحكام، وأن يُفْعَل كالذبح، وأن ينفعل كالموت عند الذبح، وهذا أَحْصَرُ الموجودات فالموجودات كلها عشرة جواهر وأعراض، وهذه الثمانية المذكورة في الإنسان وحده من بين سائر ما ذكرناه من الموجودات، تُجمَع هذه الموجودات كلها وهي في العالم متفرّقة.

فإذا نُفخ في الإنسان روح القدس التحق بالموجود المطلق التحاقاً معنويًا مقدَّساً، وهو حظه من الألوهية فلهذا تقرر عندنا أنّ الإنسان نسختان: نسخة ظاهرة ونسخة باطنة، فالنسخة الظاهرة مضاهية للعالم بأسره فيما قدّرنا من الأقسام، والنسخة الباطنة مضاهية للحضرة الإلهية، فالإنسان هو الكلّيّ على الإطلاق والحقيقة؛ إذ هو القابل لجميع الموجودات قديمها وحديثها وما سواه من الموجودات لا تقبل ذلك، فإنّ كل جزء من العالم لا يقبل الألوهية، والإله لا يقبل العبودية بل العالم كلّه عبد والحقّ سبحانه وحده إله واحد صَمد لا يجوز عليه الاتّصاف بما يناقض الأوصاف الإلهية، كما لا يجوز على العالم الاتصاف بما يناقض الأوصاف

الحادثة العبادية، والإنسان ذو نِسبتَين كاملتَين نسبة يدخل بها إلى الحضرة الإلهيّة، ونسبة يدخل بها إلى الحضرة الكيانية، فيقال فيه عبد من حيث إنّه مكلف ولم يكن ثمَّ كان كالعالم، ويقال فيه رب من حيث إنّه خليفة ومن حيث الصورة ومن حيث أحسن تقويم، فكأنه برزخ بين العالم والحقّ وجامع لخلق وحقّ وهو الخطّ الفاصل بين الحضرة الإلهيّة والكونية، كالخطّ الفاصل بين الظل والشمس وهذه حقيقته، فله الكمال المطلق في الحدوث والقِدَم، والحقّ له الكمال المطلق في القدم وليس له في الحدوث مدْخَل يتعالى عن ذلك، والعالم له الكمال المطلق في الحدوث وليس له في القدم مدخل يخسأ عن ذلك، فصار الإنسان جامعاً ولله الحمد على ذلك.

فما أشرفها من حقيقة وما أطهره من موجود، وما أخسها وما أدنسَها في الوجود؛ إذ قد كان منها محمّد، وأبو جهل وموسى وفرعون، فتحقَّق أحسن تقويم واجعَله مركز الطائعين المقربين، وتحقَّق أسفل سافلين واجعله مركز الكافرين الجاحدين فسبحان منْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وهذه دوائر ما قررناه على التنزيه والتشبيه.

الدائرة البيضاء الّتي بين الخطَّين الأسودَيْن المحيطةُ هي مثال الحضرة الإلهيّة على التنزيه، ولمّا كانت محيطة بكلّ شيء قال الله تعالى: والله ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت: ٥٤] وقال الله تعالى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] والدائرة البيضاء الّتي في جوفها اللاصقة بها الّتي يشقها الخطّ المستدير الأصغر هي دائرة الإنسان، فمن الخط المستدير الأصغر إلى جهة الحضرة الإلهية هو مضاهاة الإنسان الحضرة الإلهيّة، ومن الخطّ الأصغر إلى الدائرة الصغرى مضاهاة الإنسان عالم الكون، والفصل الّذي وقع فيها على التربيع هو لتعداد العوالم على الجملة، والدائرة الصغرى المحيطة بالمركز هي دائرة العالم الذي الإنسان خليفة عليه وتحت تسخيره والخطوط الأربعة الخارجة من المركز إلى محيطها الفصول الّتي بين العوالم، فتحقق ذلك المقال تعثُرْ على السر الذي نصبناه والله المرشد لا رب سواه.

باب الجَدْوَل الهيولانيّ وهي الدائرة المحيطة بالموجودات على الإطلاق من غير تقييد، وهي الحاويةُ على جميع الحقائق المعلومة الموجودة والمعدومة

واللامعدومة وفيها الحياة والمعقولة التي هي في القديم قديمة وفي المحدث حادثة، وفيها العلمية والإراديّة، وهذا مثال صورتها لو كانت لها صورة، ولكن لمّا كانت معقولة معلومة عندنا قدرنا على إبرازها في المثال، ولكن مجملة فتكون نقطة الجوهر عبارة عن كلّ ذات قائمة بنفسها قديمة أو حادثة، ويكون العرض منها عبارة عن كل ذات لا تقوم بنفسها، فيدخل تحتها أجناس الأعراض من كون ولون وغير ذلك، والصفات كالعلوم والقُدَر وغير ذلك، وكذلك الزمان والمكان وسائر النسَب على حسب ما تراه إن شاء الله تعالى في هذه الدائرة وهي هذه الدائرة المذكورة.

اعلم أنّ هذا الجدول الهيولانيّ هو الحقيقة التي أوجد الحقّ من مادّتها الموجودات العُلويّات والسفليات فهي الأمّ الجامعة لجميع الموجودات، وهي معقولة في الذهن غير موجودة في العين، وهو أن تكون لها صورة ذاتية لها لكنّها في الموجودات حقيقة من غير تبعيض ولا زيادة ولا نقص، فوجودها عن بروز أعيان الموجودات قديمها وحديثها، ولولا أعيان الموجودات ما عقلناها ولولاها ما عقلنا حقائق الموجودات، فوجودها موقوف على وجود الأشخاص والعلم بالأشخاص تفصيلاً موقوف على العلم بها؛ إذ مَنْ لم يعرفها لم يفرق بين الموجودات، وقال مَثلاً إنّ الجماد والمَلَك والقديم شيء واحد؛ إذ لا يعرف الحقائق ولا بماذا تتميّز الموجودات بعضها من بعض فهي متقدمة في العلم ظاهرة في الموجودات، فإن أطلق عليها تأخُّر فلتأخُّر الوجود الشخصي لا لعينها فهي بالنظر إلى ذاتها كلّيّة معقولة لا تتّصف بالوجود ولا بالعدم، وهي المادّة لجميع الموجودات فقد ظهرت بكمالها بظهور الموجودات، وما بقي شيء يوجد بعد ولهذا قال الإمام: وليس في الإمكان أبدع من هذا العالم؛ إذ لو كان وادخره لكان بخلاً يناقض الجود وعجزاً ينافي القدرة، ووصف الباري بهذا مُحال فالّذي يفضي إليه محال، فلو وُجد إلى هذا العالم عوالم إلى أبدٍ لا يتناهى لكانت مُثلاً لهذا العالم وأمّا أن يزيد عليه بحقيقة ليست في هذا العالم فلا سبيل إلى ذلك، وإذا لم تصح زيادة حقيقة فما في الإمكان أبدع منه، وقد تقرّر هذا في أوّل الكتاب.

باب جَدول الحضرة الإلهية من جهة الأسماء الحسنى، على ما ورد في الشرع المطهَّر لا على ما يقتضيه الاستقصاء والحصر وهذه صورته:

جدول اسماء الذات	جدول اسماء الصفات		جدول اسماء الافعال
الله الربّ الملك	الحياة	الحى	المبدئ الوكيل
القدوس السلام	الكلام	الشكور	الباعث المجيب
المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر العلى العظيم الظاهر	القدرة	القهار القاهر المقتدر القوى القادر	الواسع الحسيب المقيت الحافظ
الباطن الكبير الجليل المجيد الحق المتين الواحد الماجد الصمد	الارادة	الرحمن الرحيم الكريم الغفار الغفور الودود الرؤف الحليم البر الصبور	الخالق البارى المصور الرزاق الوهاب الفتاح القابض الباسط
الأول الآخر المتعالى الغنى النور الوارث	العلم	العليم الخبير المحصى الحكيم الشهيد	الخافض الرافع المعز المذل
ذو الجلال الرقيب	السمع	السميع	الحكم العدل اللطيف المعيد المحيى المميت
	البصر	البصير	الولى التواب المنتقم المقسط الجامع المغنى المانع الضار النافع الهادى البديع الرشيد

اعلم وفقك الله أنّ العالمين بالله تعالى ما علموا منه إلاّ وجوده وكونه قادراً عالماً متكلماً مريداً حيًّا قيوماً سميعاً بصيراً، وما عرفوا سوى نفس الوجود وأنّه سبحانه لا يجوز عليه، على المحدثات لصفة هو في نفسه عليها يُعقَل وجودها ولا تُعرف العبارة عنها، ولهذا لا يجوز أن يقال فيه سبحانه ما هو؛ إذ لا ماهية له ولا كيف هو إذ لا كيفية له وعلى التحقيق ما تعلق علم العالمين به سبحانه إلاّ تلويحاً من حيث الوجود، إن حققت النظر حتى تقع الرؤية إن شاء الله تعالى حيث قدّرها تعالى بمزيد الكشف والوضوح فمن جهة أنّه لا إله إلا الله قلنا: عرفنا الله، ومن جهة الحقيقة كعلمنا بأن الجوهر هو الّذي لا ينقسم المتحيز القابل للأعراض قلنا: لم نعرف.

ولهذا لا يجوز الفكرة في الله تعالى؛ إذ لا يُعقل له حقيقة فنخاف على المفكّر في ذاته من التمثيل والتشبيه، فإنه لا ينضبط ولا ينحصر ولا يدخل تحت الحدّ والوصف، وإنّما الفكرة في أفعاله ومخلوقاته وهذه الأسماء الحسنى الّتي سمّى بها نفسه توصيلاً إليها في كتابه العزيز على لسان نبيّه الصادق، فمنها ما يدلّ على ذاته تعالى وقد يدلّ مع ذلك على صفاته أو أفعاله أو عليهما معاً، ولكنّ دلالتها على الذات أظهر فما كان من الأسماء على هذا النحو جعلناه من أسماء الذات، وإن كان كما ذكرناه يدلّ على بعض الصفات أو الأفعال أو عليهما معاً، وهكذا فعلنا في أسماء الصفات وفي أسماء الأفعال من جهة الأظهر، لا أنّه ليس لها مدخل في غير جَدْولها الّذي جعلناه لها كالرب مثلاً، فإنّ معناه الثابت فهو للذات ومعناه المُصلح فهو من أسماء الأفعال، وهو بمعنى المالك فهو من أسماء الصفات.

واعلم أن هذه الأسماء الّتي جعلناها في هذا الجدول ما قصدنا بها حصْر الأسماء ولا أنّه ليس ثمّ غيرها وإنّما سُقناها بهذا الترتيب تنبيهاً على ما سنذكره إن شاء الله تعالى، فمتى رأيتَ اسماً من أسمائه الحسنى فألحقه بالأظهر فيه واكتبه في جدوله، إذ الأسماء كثيرة جداً من طريق الاختلاف الّذي حصل فيها، وإنّما جعلنا هذا فتح باب لك إلى ما يصحّ عندك من الأسماء، وفائدة هذا الجدول الّذي وضعناه لها أن يتخلّق العبد بهذه الأسماء حتّى يرجع منها حقائق يدّعي بها ويُنسب إليها من أولها إلى آخرها قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] ثمّ وصف لنا من خُلُقه ﷺ فقال الله تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨] فإذا عرفت ما أردناه بهذا الجدول ورتبناه علمت المتخلق به إذا رأيت عليه في وقت ممّا اسماً من الأسماء نسبته إلى ذلك الاسم وإلى تلك الحضرة في ذلك الوقت فتقول

فلان الآن في حضرة الأفعال، إن كان من أسماء الأفعال أو في حضرة الصفة الفلانية أو في حضرة الذات كيف شئت على حسب حضرة ذلك الاسم، فإن كان الاسم فيه معاني الحضرات الثلاث فتنظر إلى ما غلب عليه من تلك المعاني، فتنسبه إليه وتلحقه بتلك الحضرة في الحال، وإن كان من جهة المقام فوقها ولكن تحكم عليه بما هو في الحال غيرَ أنّ المكمَّل منّا لا يحجبه ذلك في حقّ هذا الشخص إذا كان أعلى من حاله، فإنه لا يخفى علينا مَنْ يَنزل ذلك الاسمَ على ما يعطيه الوقت ممَّن سلطانه ذلك الاسم وحاكم عليه، وبهذا يفرق بينهما الكامل منّا ومَنْ دون هذا إنّما يحكم عليه في الحال بذلك الاسم لا يعرف غير ذلك فهذا فائدة هذا الجدول.

وبدأنا به في الموجودات، إذ هو الأول الذي لا أوّلية له والأشياء كلها معدومة ولهذا جعلناه على أثر الشكل الهيولانيّ، ومعه لما كان مقارنًا لها في الأزل من غير أن يكون لها وجود في عينها، لكنها معلومة له سبحانه يعلمها بحقيقة من حقائقها فهو يعلمها بها ولا بغيرها، إذ هي الشاملة للكلّ وكان الحقّ أزلاً لها ظاهراً وهي له باطن إذ هي صفة العلم وليس العلم بشيء غيرها ولا هي العالم فإن العالم منها من باب العالميّة، وليست منه لكنّها ظهرت فيه من باب الحقيقة، ولهذا جعلنا وجود الحقّ يقابل ما يأتي بعد هذا من أكثر عوالم وجداولها، وسقناه بالأسماء لأنّ مستند الأفعال إليها ولأنّ الذات لا سبيل إلى تصويرها في الذهن، ولا بدّ أن يحصل في النفس أمر يُستند إليه فليكن الأسماء فلم يكن بدٌّ من ذكرها، فهذا الجدول من باب الجوهر المذكور في الهيولى لا من غيره إذ الجوهر عبارة عن الأصل وأصل الأشياء كلّها وجود الحق تعالى؛ إذ لو لم يكن هذا الأصل الإلهي موجوداً وهذه المادة الهيولانيّة معقولة لما صح هذا الفرع المحدث الكائن بعد أن لم يكن ولما تُصوّر، فتحقّق ترشُدْ إن شاء الله تعالى وهو المستعان.

باب سبب بدء العالم ونشئه

اعلم وفّقك الله وسدّدك أنّه لمّا نظرنا العالم على ما هو عليه وعرفنا حقيقته ومورده ومصدره ونظرنا ما ظهر فيه من الحضرة الإلهية بعدما فصلناه تفصيلاً، فوجدنا الذات الإلهية منزّهة عن أن يكون لها بعالم الكون والخلق والأمر مناسبة أو تعلق بنوع مّا من الأنواع؛ لأنّ الحقيقة تأبى ذلك فنظرنا ما الحاكم المؤثر في هذا العالم فوجدنا الأسماء الحسنى ظهرت في العالم كله ظهوراً لا خفاء به كلّيًا وحصلت فيه بآثارها وأحكامها لابذواتها، لكن بأمثالها لا بحقائقها لكن برقائقها فأبقينا الذات

المقدَّسة على تقديسها وتنزيهها، ونظرنا إلى الأسماء فوجدناها كثيرة فقلنا: الكثرة جَمْعٌ ولا بدّ من أئمة متقدمة في هذه الكثرة فلتكن الأئمة هي المسلَّطة على العالَمين، وما بقي من عدد الأسماء إذ الأئمة الجامعون لحقائقها فالإمام المقدَّم الجامع اسمه الله فهو الجامع لمعاني الأسماء كلها، وهو دليل الذات فنزهناه كما نزهنا الذات، وأيضاً فإنه من حيث ما وضع جامعُ الأسماء، فإن أخذناه لكون ما من الأكوان ما نأخذه من حيث ما وضع وإنّما نأخذه من جهة حقيقة ما من حقائقه التي هو مهَيمن عليها، ولتلك الحقيقة اسمٌ يدل عليها من غير اسم الله فلنأخذها من جهة ذلك الاسم الّذي لا يحتمل غيرها ونُبرز الكون منها ونترك اسمه الله على منزلته من التقديس، فإذا تقرر هذا وخرج الاسم الجامع عن التعلق بالكون وبقي على مرتبته حتى لا تبقى حقيقة إلا برزت فحينئذ يظهر سلطان ذاته كلّيًا.

فلنرجع إلى الأئمة الذين هم من جملة حقائقه ونقول: إن أئمة الأسماء كلها عقلاً وشرعاً سبعة، ليس غيرها وما بقي من الأسماء فتَبَعٌ لهؤلاء وهي الحي العليم المريد القائل القادر الجواد المقسط، فالحي إمام الأئمة ومقدَّمهم، والمقسط آخر الأئمة والقائل أدخله الشرع في الأئمة خاصة، وقَبِلَه المقام وسُرّ به، وما بقي فالروح العقليّ اقتضاه إماماً وانفرد الروح القدسي بالقائل خاصة، وله مدخل في المقسط من جهة مَّا وفي اسمه الجواد لا غير فاسمه الجواد يعمّ كلّ اسم، رحمانيّ يُعطي سرًّا ونعمةً فهو المهيمن على هذا القبيل من الأسماء والمقسط يعمّ كالاسم غَضَبيّ يعطي ضرًّا ونِقمةً، وهو المهيمن على هذا القبيل من الأسماء وليس في العالم إلاّ هؤلاء الأئمة وهذان القبيلان من الأسماء لا غير، ولولا ظهور الأحكام الشرعية ما احتجنا إلى الاسم المقسط، احتياجاً ضرورياً فالعقاب والوعيد اضطرنا إلى إمامة الاسم المقسط وليس إيلام البهائم وما في ضمن ذلك من حكم اسمه المقسط، ولكن من حكم اسمه المريد وهو من الأئمة المقدَّمين، فتحقَّق الشكل إذا رسمناه لك ليثبت في خيالك، فإني سأقيم لك دائرة العالم من غير نظر إلى شريعة وما يحكم فيه من هؤلاء الأئمة، وسأقيم لك دائرة السعادة من العالم ودائرة الشقاوة، وما يحكم فيه من هؤلاء الأئمة فانظر امتداد الرقائق من حضرات الأئمة إلى العالم ومراتب الأئمة الأوّل فالأول، الأعلى فالأعلى، وسأقيم لك القبيلين من الأسماء بين دوائر العالم وحضرات الأئمة، وأجعل لهم ثلاث دوائر دائرة تضم القبيلين في مقابلة دائرة العالم الكبرى المطلقة ودائرتان في مقابلة عالم السعادة وعالم الشقاوة وبتميُّز القبيلَين

فانظرها وتحققها حتّى تحصّلها في خيالك، وسأجعل الرقائق من الأئمة تمتدّ إلى سَدَنة من الأسماء ومن السدنة إلى العوالم، وقد تمتدّ الرقيقة من بعض الأئمة إلى بعض وحينئذ، تنزل وتتّصل بالعالم لوقوف بعض الأئمة على بعض، وأكتب على الرقائق إثرها حتى تعقل، فألق بالك واشحُذ فؤادك واشكر الله الذي سخرني لك حتّى علمت من الوجود ما غاب عنه أكثر الخلق بأقرب محاولة وأصح مثال، وذلك بفضل الله وحَوله وقوّته ومنّه، هذه صورة الدائرة المتقدمة الذكر.

اعلم أنّ من الكشف ما هو عقلي وهو ما يدركه العقل بجوهره المطلق عن قيود الفكر والمزاج، ومنه ما هو نفسانيّ وهو ما يرتسم في النفوس الخيالية المطلقة عن قيوده المزاجيّة بأزمان الرياضات والمجاهدات بعد كشف حُجب المباينات والممايزات، ومنه ما هو روحاني وذلك بعد كشف الحجب العقلية والنفسانية ومطالعة مَطالع الأنفاس الرحمانية، ومنه ما هو ربّاني وذلك بطريق التجلي إمّا بالتنزُّل أو بالعروج أو بمنازلات أسرارٍ، وهذا النوع يتعدّد بتعدُّد الحضرات الأسمائيّة، فإنّ للمحقّ تجليات من كلّ حضرة من الحضرات الأسمائية وأعلاها هو التجلي الإلهي الجمعي الأحَدي يُعطي المكاشفات الكلّيّة وفوقها التجلّي الذاتيّ الّذي يعطي الكشف بحقيقة الحقائق وبمراتبها وبحقيقة النفس والعماء، وبالحقيقة الإلهيّة وبحقيقة الطبيعة الكلّيّة، وقوله: وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة أي: الملائكة هي أرواح القوى القائمة بالصورة الحسّيّة والقوى النفسانيّة والعقليّة، وإنّما سُميت ملائكة لكونها روابط موصلات تربط الأحكام الربّانية والآثار الإلهية بالعوالم الجسمانيّات، فإنّ الملك باللغة هو القوة والشدّة، فلمّا قويتْ هذه الأرواح بالأنوار الربانيّة وقويت الآثار الإلهيّة بها على إيقاع أحكامها وإيصال أنوارها سُميت ملائكة، وهم ينقسمون إلى عُلوى روحي، وسفلى طبيعي عنصري، ومثاليّ نورانيّ، فمنهم المهيَّمون، ومنهم المسخرون ومنهم المولدة من الأعمال والأقوال والأنفاس، ظهور الحق في العالم الروحاني ليس كظهوره في العالم الطبيعي فإنه في الأوّل بسيط نورانيّ نزيه فِعلي وحداني وفي الثاني: مركب ظلماني انفعاليّ.

قيل: التقى آدم إبليسَ بعد الخطيئة فقال: يا شقيّ وَسْوَسْتَ إليّ وفعلت، فقال: يا آدم هَبْ أنّي كنتُ إبليسك فَمنْ كان إبليسي الشكل مقيَّد بشكله، والفرع منتشر عن أصله.

اعلم أنّ سبب نشء العالم على ما اقتضاه الكشف المثاليّ والحكم الإلهي ما

ذكرناه في كتاب عَنْقاء مَغرِب في باب محاضرة أزليّة على نشأة أبديّة، وسأذكر منه في هذا الكتاب ما يُحتاج إليه في هذا الموضع وذلك أن السدنة من هذه الأسماء لمّا كانت بأيديهم مقاليد السموات والأرض، ولا سموات ولا أرض بقي كلّ سادن بمقْلاده لا يجد ما يفتح فقالوا: يا لَلْعَجَب خُزّان بمفاتيح مَخازن لا تعرف مخزناً موجوداً فما نصنع بهذه المقاليد، فأجمعوا أمرهم وقالوا: لا بدّ لنا من أئمتنا السبعة الّذين أعطونا هذه المقاليد، ولم يُعَرِّفونا المخازن الّتي نكون عليها فقاموا على أبواب الأئمة على باب الإمام المخصص والإمام المُنعم والإمام المقسط فأخبروهم الأمر فقالوا: صدقتم الخبر عندنا وسنعيّنها لكم إن شاء الله تعالى، ولكن تعالَوا نَصل إلى مَنْ بقي من الأئمة ونجتمع على باب حضرة الإمام الإلهي إمام الأئمة، فاجتمع الكل وهم بالإضافة إلى الإمام المعروف بالله سَدَنة، فوقف الجميع ببابه فبرز لهم وقال: ما الذي جاء بكم فذكروا له الأمر وأنهم طالبون وجود السموات والأرض؛ حتى يضعوا كلّ مقلاد على بابه فقال: أين الإمام المخصّص فبادر إليه المريد فقال له: أليس الخبر عندك وعند العليم فقال له نَعمْ قال: فإن كان فأرِحْ هؤلاء ممّا هم فيه من تعلُّق الخاطر وشُغْل البال، فقال العليم والمريد: أيُّها الإمام الأكمل قل للإمام القادر يساعدنا والقائم فإنّه لا نقوم به بأنفسنا إلاّ أربعتنا، فنادى الله تعالى القادر والقائل وقال لهما أعينا أَخَوَيكما فيما هما بسبيله، فقالا: نعم فدخلا حضرة الجواد، فقالا للجواد: عزمنا على إيجاد الأكوان وعالم الحدثان، وإخراجهم من العدم إلى الوجود وهذا من حضرتك حضرة الجود، فادفع لنا من الجود ما نُبرزهم به فدفع لهم الجودَ المطلق فخرجوا به من عنده وتعلّقوا بالعالم فأبرزوه على غاية الإحكام والإتقان، فلم يبق في الإمكان أبدع منه فإنّه صدر عن الجود المطلق، ولو بقي أبدع منه لكان الجواد قد بخل بما لم يُعْط وأبقاه عنده من الكمال ولم يصحّ عليه إطلاقُ اسم الجواد وفيه شيء من البخل، فليس اسم الجواد عليه فيما أعطى بأولى من اسم البخيل عليه فيما أمسك، وبطلت الحقائق وقد ثبت أنّ اسم البخيل عليه مُحال، فكونه إن أبقى عنده ما هو أكمل مُحال وهذا أصل نشء العالم وسببه، وما ظهر الإمام المقسط إلاّ بعد نزول الشرائع فتأهبت الأسماء بمقاليدها وعلمت حقيقةَ ما كان عندنا وما هي عليه بوجود الأكوان، فتحقق هذا الفصل المختصر العجيب.

فإنّه نافع في هذا الباب الله

المرشد للصواب

تمّ الكتاب